

المؤتمر القرآني الدولي السنوي (مقدس : ٤)

١٤-١٥ / ٤ / ٢٠١٤ م

الموافق ١٤-١٥ / ٦ / ١٤٣٥ هـ

المحور الثاني

البحث القرآني في التخصصات الإنسانية والتطبيقية

بحث بعنوان

منهج الدكتور محمد عثمان نجاتي في البحث القرآني في علم النفس

من خلال كتابه "القرآن وعلم النفس"

عرض ونقد

إعداد

الدكتور

توفيق علي زبادي

باحث في مركز تفسير للدراسات القرآنية

الرياض - السعودية

المقدمة :

الحمد لله والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين نبينا محمد صلى الله عليه وسلم .
أما بعد ،،،

فإن أعداء الأمة الإسلامية خططوا في تعميق الهوة بين المسلمين وبين مصادر فهم الإسلام والعمل به المتمثلة في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، فقاموا بتغيير معظم أنظمة التعليم، واستبدلوا المناهج التربوية والبرامج التعليمية، مما عمّق الشعور عند المسلمين بأن العلوم بشكل عام بعيدة عن الإسلام غريبة عنه ومن هذه العلوم علم النفس، فمن يقرأ في هذا العلم يلحظ أنه نشأ في رحم مقطوع الصلة بالقرآن والسنة، ولكن المتدبر لكتاب الله وسنة رسوله ﷺ يلحظ أن أصول ومعالِم هذا العلم ماثورة في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وكتب التراث الإسلامي .
وقد ظهر اهتمام من بعض العلماء إلى ضرورة الرجوع إلى كتاب الله لجمع الآيات التي تشير إلى أصول علم النفس وتبويبها للوصول إلى علم نفس يتفق مع المفاهيم والحقائق القرآنية ، ومن هؤلاء العلماء الدكتور محمد عثمان نجاتي الذي قام بجهد مشكور في جمع واستيعاب الآيات التي تشير إلى علم النفس العام والمقارنة بينها وبين مفاهيم علم النفس الحديث، ثم قام بتصحيح بعض المفاهيم الخاطئة في علم النفس الحديث والتي لا تتفق مع المفاهيم والحقائق القرآنية وذلك في كتابه " القرآن وعلم النفس"، ثم استدرك على نفسه في الطبعتين الثانية والخامسة من هذا الكتاب بإضافة مفاهيم وحقائق قرآنية أخرى مستفيداً من نصائح الباحثين والعلماء الذين اطلعوا على كتابه.

وقد أشار الدكتور نجاتي - رحمه الله- إلى أن هذا العلم بكر، بمعنى أنه يحتاج إلى جهد متواصل وعمل دؤوب للوصول إلى علم النفس يتفق مع المفاهيم والحقائق التي جاءت في القرآن الكريم.
مشكلة الدراسة :

تتمثل مشكلة الدراسة في غياب الدراسات التي تبين منهج الدكتور محمد عثمان نجاتي في البحث القرآني في علم النفس؛ لذا تسعى الدراسة إلى بيان منهج الدكتور محمد عثمان نجاتي في البحث القرآني في علم النفس من خلال كتابه " القرآن وعلم النفس" .
وعليه فالدراسة تسعى للإجابة عن الأسئلة التالية :

- ١- ما مفهوم البحث القرآني في علم النفس عند الدكتور نجاتي ؟ وما دوافعه؟
- ٢- ما منهج البحث القرآني في علم النفس عند الدكتور نجاتي؟
- ٣- ما المآخذ على البحث القرآني في علم النفس عند الدكتور نجاتي؟
- ٤- ما الضوابط المقترحة في البحث القرآني في علم النفس؟

أهداف البحث:

تسعى هذه الدراسة إلى تحقيق الأهداف التالية :-

- ١- بيان مفهوم البحث القرآني ودوافعه في علم النفس عند الدكتور نجاتي.
- ٢- بيان منهج البحث القرآني في علم النفس عند الدكتور نجاتي.
- ٣- توضيح المآخذ على البحث القرآني في علم النفس عند الدكتور نجاتي.

٤ - بيان الضوابط المقترحة في البحث القرآني في علم النفس.

أهمية البحث:

تتمثل أهمية الدراسة بالنقاط التالية :

- ١ - تفتح الدراسة قناة اتصال بين القائمين على الدراسات النفسية والقائمين على الدراسات القرآنية ؛ من أجل إسهام الجميع في مشروع "مفاهيم وحقائق علم النفس في القرآن".
- ٢ - الدراسة دعوة للمقارنة بين الحقائق والمفاهيم النفسية الحديثة والحقائق والمفاهيم التي جاءت في القرآن ؛ للوصول إلى علم نفس يتفق مع ما جاء في القرآن الكريم، و لا يخالف الشريعة الغراء.

حدود البحث:

تقتصر الدراسة على دراسة البحث القرآني في علم النفس عند الدكتور نجاتي من خلال كتابه "القرآن وعلم النفس".

منهج البحث:

يعتمد الباحث في هذه الدراسة على المنهج الاستقرائي والتحليلي الاستنباطي وذلك من خلال الخطوات التالية:

- ١ - استقراء موضوع البحث القرآني في كتاب "القرآن وعلم النفس" للدكتور نجاتي.
- ٢ - تحليل المعلومات الواردة وربطها مع بعضها ؛ لتبين الرؤية الواضحة لمنهج الدكتور نجاتي في البحث القرآني في علم النفس.
- ٣ - استنباط منهج الدكتور نجاتي في البحث القرآني في علم النفس.

الدراسات السابقة:

في حدود اطلاع الباحث ومن خلال مراجعة المكتبات والشبكة العنكبوتية لم يجد الباحث دراسة تتناول منهج الدكتور نجاتي في البحث القرآني في علم النفس.

خطة الدراسة وتشمل :

المقدمة : أهمية الموضوع، مشكلة الدراسة، هدف الدراسة وأسئلتها.

المبحث الأول : السيرة الذاتية للدكتور نجاتي.

المبحث الثاني : مفهوم البحث القرآني ودوافعه عند الدكتور نجاتي .

المبحث الثالث : منهج البحث القرآني عند الدكتور نجاتي .

المبحث الرابع : مآخذ على البحث القرآني في علم النفس عند الدكتور نجاتي.

المبحث الخامس : ضوابط مقترحة للبحث القرآني في علم النفس.

الخاتمة : وتشمل أهم النتائج والتوصيات .

فهرس المصادر والمراجع.

المبحث الأول

التعريف بالدكتور محمد عثمان نجاتي^(١)

- الاسم : محمد عثمان نجاتي عثمان.
- الجنسية : مصري.
- تاريخ الميلاد : ١٩١٤م - ولد في الخرطوم.
- تاريخ الوفاة : ٢٠٠٠م - توفي في القاهرة.
- التخصص : عالم متخصص في علم النفس و شاعر مصري ، عاش في السودان، ومصر، والولايات المتحدة، والكويت، والسعودية.
- دراسته : درس بمدرسة الفيوم الابتدائية ، ثم الثانوية ، ثم انتسب إلى جامعة فؤاد الأول، والتحق بكلية الآداب ، قسم علم النفس ، وتخرج فيها (١٩٣٨) ، وواصل دراساته العليا بالكلية ، فحصل على درجة الماجستير ١٩٤٢ م ، ثم أوفدته الجامعة لدراسة علم النفس بجامعة « يل » بالولايات المتحدة ، حيث حصل منها على درجة الماجستير - للمرة الثانية - (١٩٤٨) ، ثم درجة الدكتوراه (١٩٥٢).
- عمل أستاذًا بكلية الآداب ، وكان أول أستاذ متخصص في هذا المجال، وتدرج في مناصبه حتى أصبح وكيلًا للكلية (١٩٦٥) .
- أعير لجامعة الكويت، وتولى عمادة كلية الآداب بها، كأول عميد لها، كما أعير لجامعة الإمام محمد بن عبدالعزيز آل سعود الإسلامية بالرياض، وعمل أستاذًا متفرغًا لتأصيل العلوم الإسلامية.
- أسهم في إنشاء جمعية البحوث الحضارية المقارنة مع عدد من الأساتذة في مصر وسورية ولبنان وأمريكا، كما أسهم في إنشاء جريدة الشرق.
- كان عضوًا في الجمعية المصرية لعلم النفس ، وفي رابطة المعالجين النفسيين من غير الأطباء بمصر، وجمعية علم النفس الأمريكية، وجمعية علم النفس التطبيقي ببلجيكا.

الإنتاج الشعري :

له قصائد نشرتها صحف ومجلات عصره، منها: قصيدة "خطرات الأفكار" - مجلة مدرسة الفيوم الثانوية - مطبعة الفسطاط - مصر - ١٩٣٣، وله مجموع شعري مخطوط بحوزة أسرته. يتنوع شعره بين التزام الوزن ووحدة القافية ، والتنوع فيها ، وينتمي موضوعيًا إلى الاتجاه الوجداني والتعبير عن النفس وآلامها ، والتعبير عن مشاهد الطبيعة من حوله ووصفها، وتصوير خطرات الحب وجوى الكتمان، في نزوع فلسفي يتخلل خطرات نفسه ورؤاه.

وفي شعره اهتمام بالحسن والجمال، وله قصائد في المناسبات الاجتماعية والاحتفالات، من تأبين، وثناء، وتكريم.

الجوائز :

^١ الدوريات: مجلة مدرسة الفيوم الثانوية - ١٩٣٣. ٢ ، لقاءات أجراها الباحث محمد ثابت مع أسرة المترجم له وذويه - القاهرة ٢٠٠٤م.

- حصل على جائزة المؤتمر الإسلامي في الكويت عن كتابه "الإدراك الحسي عند ابن سينا".
 - حصل على جائزة الملك فيصل العالمية عن دراساته الإسلامية في مجال علم النفس.
- من مؤلفاته :

١. علم النفس والحياة.
٢. الإدراك الحسي عند ابن سينا.
٣. الدراسات النفسية عند علماء المسلمين.
٤. القرآن وعلم النفس.
٥. الحديث الشريف وعلم النفس.
٦. مدخل إلى علم نفس إسلامي.
٧. التعايش مع الخوف - ترجمة.

المبحث الثاني : مفهوم البحث القرآني ودوافعه عند الدكتور نجاتي

أولاً : مفهوم البحث القرآني عند نجاتي :

قال - رحمه الله - : " وقد تضمن القرآن الكريم كثيراً من الآيات التي تعرضت لطبيعة تكوين الإنسان، ووصفت أحوال النفس المختلفة، وبينت أسباب انحرافها ومرضاها، وطرق تهذيبها وتربيتها وعلاجها، وذلك أمر طبيعي في كتاب أنزله الله تعالى لهداية الإنسان وتوجيهه وتربيته وتعليمه، وكانت هذه الآيات الواردة في القرآن الكريم عن النفس بمثابة المعالم التي يسترشد بها الإنسان في فهم نفسه وخصالها المختلفة، وفي توجيهه إلى الطريق السليم في تهذيبها وتربيتها، ومن الممكن أن نسترشد بما ورد في القرآن الكريم من حقائق عن الإنسان وصفاته وأحواله النفسية في تكوين صورة صحيحة عن شخصية الإنسان، وعن الدوافع الأساسية التي تحرك سلوكه، وعن العوامل الرئيسية لتوافق شخصيته وتكاملها ولتحقيق صحته النفسية مما يكون من شأنه أن يمهّد الطريق لقيام "علم للنفس" تتفق نتائجه وحقائقه مع الحقائق الصحيحة عن الإنسان التي نستمدّها من كلام الله سبحانه وتعالى خالق الإنسان وهو الأعلّم بطبيعته وأسرار تكوينه، [أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ] (الملك : ١٤).

وليس هذا الكتاب الذي نقدمه الآن إلا محاولة لجمع الحقائق والمفاهيم النفسية التي وردت في القرآن الكريم والاسترشاد بها في تكوين صورة واضحة عن شخصية الإنسان وسلوكه مما يمكن أن يمهّد الطريق إلى نشوء دراسات جديدة في علم النفس تحاول أن تضع الأسس لنظريات جديدة في الشخصية تتفق حقائقها ومفاهيمها مع الحقائق والمفاهيم التي وردت في القرآن الكريم عن الإنسان^(١).

فالبحث القرآني في فكر الدكتور نجاتي هو : جمع الحقائق والمفاهيم النفسية التي وردت في القرآن الكريم عن الإنسان والاسترشاد بها في إنشاء دراسات جديدة في علم النفس.

وقد أشار - رحمه الله - إلى مصادر أخرى يجب الاسترشاد بها في إنشاء هذه الدراسات ، حيث قال: " ولاشك أننا في حاجة إلى مزيد من الاهتمام بدراسة تراثنا الإسلامي، مبتدئين بالقرآن الكريم، والحديث

^١ القرآن وعلم النفس: ص ٢٥.

الشريف. ثم متتبعين تطور التفكير في الدراسات النفسية لدى الفلاسفة والمفكرين المسلمين بهدف معرفة المفاهيم النفسية الإسلامية فهما صحيحاً يكون هادياً لنا في دراساتنا النفسية، وعونا لنا في تكوين الشخصية الإنسانية بحيث نجمع بين دقة البحث العلمي الأصيل، والحقائق التي وردت في القرآن الكريم عن الإنسان، وهي حقائق يقينية لأنها صدرت عن الله تعالى خالق الإنسان: [لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ] (فصلت ٤٢)^(١).

ثانياً : **دوافع الدكتور نجاتي - رحمه الله - في كتابة كتابه :**

يقول - رحمه الله - : يرجع اهتمامي بموضوع " القرآن وعلم النفس " حينما كنت أعد رسالتي للماجستير في موضوع الإدراك الحسي عند ابن سينا في الفترة من عام ١٩٣٩م إلى عام ١٩٤٢م، فلقد رأيت أنه من الضروري لفهم آراء ابن سينا في علم النفس الرجوع إلى جميع ما كان معروفاً قبل عصر ابن سينا من مفاهيم وآراء ودراسات نفسية مختلفة؛ ولذلك تعرضت في مقدمة الرسالة إلى بعض المفاهيم النفسية التي وردت في القرآن الكريم والحديث الشريف كمصدرين من المصادر التي أثرت في بعض آراء ابن سينا وخاصة في موضوع الإدراك الحسي واكتساب المعرفة والأحلام والرؤى^(٢).

وعن المقصد من تأليف كتابه قال : عرض المفاهيم النفسية التي وردت في القرآن، مقارنة بينها وبين مفاهيم علم النفس الحديث^(٣).

فهي دراسة مقارنة بين المفاهيم النفسية في القرآن وأحدث ما توصل إليه علم النفس الحديث من مفاهيم.

^١ القرآن وعلم النفس : ص ٢٧ .

^٢ القرآن وعلم النفس : مقدمة الطبعة الأولى ، ص ٧ .

^٣ القرآن وعلم النفس : محمد عثمان نجاتي، ص ٨.

المبحث الثالث

منهج البحث القرآني عند الدكتور نجاتي

من خلال دراستي لكتاب " القرآن وعلم النفس " تبين لي منهج الدكتور نجاتي على النحو التالي:

أولاً : الجمع والاستيعاب :

قام الدكتور نجاتي بجمع الآيات المتعلقة ببعض أبواب علم النفس العام ثم علّق عليها بأسلوبه بعد قراءة لبعض كتب التفسير^(١) مستصحباً أحياناً بعض النظريات النفسية، ومشيراً لبعض الآراء من كتّب في نفس الموضوع من العلماء والباحثين^(٢)، مستوعباً لما ورد في الموضوع من أبحاث علمية.

تعليق الباحث :

هذا المسلك من الأخطاء المنهجية في الاستنباط من القرآن، أي محاكمة القرآن إلى آراء البشر.

وقد حذّر العلماء من التعامل مع القرآن بمقررات ذهنية سابقة نحاكم إليها نصوصه :

قال صاحب المنار - رحمه الله - : " إذا وزنا ما في أدمغتنا من الاعتقادات بكتاب الله تعالى من غير أن ندخلها أولاً فيه يظهر لنا كوننا مهتدين أو ضالين. وأما إذا أدخلنا ما في أدمغتنا في القرآن وحشرناها فيه أولاً فلا يمكننا أن نعرف الهداية من الضلال لاختلاط الموزون بالميزان. فلا يدرى ما هو الموزون من الموزون به - أريد أن يكون القرآن أصلاً تحمّل عليه المذاهب والآراء في الدين لا أن تكون المذاهب أصلاً والقرآن هو الذي يحمل عليها، ويرجع بالتأويل أو التحريف إليها، كما جرى عليه المخذولون، وتاه فيه الضالون"^(٣).

وقال سيد قطب - رحمه الله - عن منهجه في التعامل مع القرآن: " ومنهجنا في استلهام القرآن الكريم، ألا نواجهه بمقرراتٍ سابقةٍ إطلاقاً، لا مقرراتٍ عقليةٍ ولا مقرراتٍ شعوريةٍ - من رواسب الثقافات التي لم نستقيها من القرآن ذاته- نحاكمُ إليها نصوصه، أو نستلهمُ معاني هذه النصوص، وفق تلك المقررات، لقد جاء النصُّ القرآني -ابتداءً- لينشئ المقررات الصحيحة التي يريدُ الله أن تقومَ عليها تصوراتُ البشر .. " ^(٤).

ثانياً : التصحيح والتصويب :

ذهب فرويد إلى أن للنفس ثلاثة أقسام هي : الهو ، والأنا ، والأنا الأعلى^(٥).

الهو : هو ذلك الجزء من النفس الذي يحوي الغرائز التي تنبعث من البدن وهو يطبع "مبدأ اللذة" ويهدف دائماً إلى الإشباع من غير مراعاة المنطق والأخلاق والواقع، والهو بهذا المعنى يبدو أنه يشبه مفهوم (النفس

الأمارة بالسوء).

^١ تفاسير : (القرطبي - الجلالين - ابن كثير - الرازي - صفوة البيان - النسفي - المنتخب في تفسير القرآن).

^٢ الشيخ محمد الغزالي في كتابه الجانب العاطفي في الإسلام ، ومحمد قطب دراسات في النفس الإنسانية.

^٣ تفسير المنار : ٥٨ / ١

^٤ خصائص التصور القرآني: سيد قطب : ١٦-١٧.

^٥ انا والهو: سيجمند فرويد : ترجمة محمد عثمان نجاتي ، ط ٤، بيروت ، دار الشروق ، ١٩٨٢ م، ص ١٤-١٧.

والأنا الأعلى : هو ذلك الجزء من النفس الذي يتكون من التعاليم التي يلقيها الفرد من والديه ومدرسته ومن القيم الثقافية التي ينشأ فيها ويصبح قوة نفسية داخلية تحاسب الفرد وتراقبه وتنقده وتحدده بالعقاب وهو ما يعرف عادة بالضمير، ويرى فرويد أن (الأنا على) يمثل ما هو سامٍ في الطبيعة الإنسانية، وهو بهذا المعنى يبدو أنه يشبه مفهوم (النفس اللوامة).

والأنا : هو ذلك الجزء من النفس الذي يقبض على زمام الرغبات الغريزية المنبعثة من الهو ويسيطر عليها، فيسمح بإشباع ما يشاء منها، ويؤجل ما يرى تأجيله، ويكبت ما يرى ضرورة كبته مراعيًا "مبدأ الواقع" أو العالم الخارجي بما يتضمنه ذلك من قوانين وقيم وأخلاق وتعاليم دينية. ويقوم الأنا في رأي فرويد بالتوفيق بين الهو، والواقع أو العالم الخارجي، والأنا الأعلى بحيث يسمح بإشباع رغباته الغريزية في الحدود التي يسمح بها الواقع، ويجد من تطرف الأنا الأعلى بحيث لا يجعله يسرف في النقد والتهديد بالعقاب بدون مبرر معقول. وإذا نجح الأنا في وظيفته التوفيقية أمكن أن يتحقق للإنسان الاتزان و السواء والصحة النفسية. وعلى ذلك فإننا نستطيع أن نجد شبهة بين النتيجة التي يؤدي إليها نجاح الأنا في وظيفته وما يحققه للإنسان من اتزان وسعادة وبين حالة (النفس المطمئنة) التي يصل إليها الإنسان بالتغلب على أهوائه، وتحقيق التوازن بين مطالبه البدنية ومطالبه الروحية مراعيًا في ذلك (مبدأ الواقع) الذي يفرضه نظام الحياة في المجتمع المسلم من القيام بالعبادات المفروضة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والعمل الصالح، وإتباع قواعد الأخلاق الإسلامية^(١).

تصحيح وتصويب الدكتور نجاتي :

قال نجاتي -رحمه الله - : " في الحقيقة يوجد اختلاف كبير بين هذه المفاهيم الثلاثة للنفس كما وردت في القرآن، وبين أقسام النفس الثلاثة في نظرية فرويد. فمفاهيم النفس الأمانة بالسوء، والنفس اللوامة، والنفس المطمئنة حالات مختلفة تتصف بها النفس أثناء صراعها الداخلي بين الجانب المادي والجانب الروحي في شخصية الإنسان، وهي ليست أقساماً مختلفة للنفس، كما أنها لا تتكون أثناء مراحل نمو معينة يمر بها الإنسان^(٢).

وهذا يتفق مع ما قاله ابن تيمية - رحمه الله - : " يقال النفوس ثلاثة أنواع: وهي " النفس الأمانة بالسوء " التي يغلب عليها اتباع هواها بفعل الذنوب والمعاصي. و " النفس اللوامة " وهي التي تذب وتذب فعندها خير وشر لكن إذا فعلت الشر تابت وأنابت فتسمى لوامة لأنها تلوم صاحبها على الذنوب ولأنها تتلوم أي تتردد بين الخير والشر. و " النفس المطمئنة " وهي التي تحب الخير والحسنات وتريده وتبغض الشر والسيئات وتكره ذلك وقد صار ذلك لها خلقاً وعادة وملكة. فهذه صفات وأحوال لذات واحدة وإلا فالنفس التي لكل إنسان هي نفس واحدة وهذا أمر يجده الإنسان من نفسه"^(٣).

^١ معامل التحليل النفسي: سيجمند فرويد : ترجمة محمد عثمان نجاتي ، ط٥ ، بيروت ، دار الشروق ، ١٩٨٣ م ، ص٤٦ -

^٢ القرآن وعلم النفس : محمد عثمان نجاتي ، دار الشروق - القاهرة ، ط٧ ، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م ، ص٢٣٤ .

^٣ مجموع الفتاوى لابن تيمية : ٩ / ٢٩٤ .

ثالثاً : الجِدَّة والإبداع :

اهتم نجاتي بإبراز الجانب الروحي في علم النفس، حيث ذكر تحت عنوان " الدوافع الروحية" وهي دوافع ترتبط بالناحية الروحية في الإنسان : مثل دافع التدين والتمسك بالتقوى ، وحب الخير والحق والعدل ، وكره الشر والباطل والظلم^(١). وهذه لم يسبقه إليها أحد.

رابعاً : الاستدراك :

استدرك الدكتور نجاتي على نفسه في الطبقات التالية للطبعة الأولى : حيث قال في تصدير الطبعة الثانية "وقد أُدخِل في الطبعة الثانية من هذا الكتاب كثير من التنقيحات والإضافات. فقد أضيفت بعض الآيات القرآنية، كما أضيفت تعليقات وتحليلات ومقارنات جديدة في معظم فصول الكتاب. وقد أتاحت لمؤلف هذا الكتاب فرصة التحدث عن بعض الموضوعات التي تناولها هذا الكتاب في عدة ندوات. وكانت التعليقات والمناقشات التي أعقبت حديثي مفيدة لي.

وأخيراً أرجو أن أكون قد وفقت في تلافي بعض نواحي القصور التي وردت في الطبعة الأولى من الكتاب، وإن كنت أشعر أن الكتاب لا زال في حاجة إلى مراجعة مستمرة، وإلى إضافات كثيرة أرجو أن أستطيع تحقيق بعضها في الطبقات التالية إن شاء الله^(٢).

ويقول في مقدمة الطبعة الخامسة : " أُدخِلت في الطبعة الخامسة تنقيحات كثيرة، وأضيفت أجزاء جديدة في معظم فصول الكتاب، ففي الفصل الأول الخاص بدوافع السلوك في القرآن أُعيدت كتابة الأجزاء الخاصة بالدوافع النفسية والروحية، ودافع التدين، والسيطرة على الدوافع، وفي الفصل الثاني الخاص بالانفعالات في القرآن أُعيدت كتابة الأجزاء الخاصة بالخوف، والغضب، وحب الذات، وحب الله، والحسد، وفي الفصل الرابع الخاص بالتفكير في القرآن أُضيف جزء جديد عن البحث التجريبي، وفي الفصل الخامس الخاص بالتعلم في القرآن أُعيدت كتابة الجزئين الخاصين بالتفكير، وإثارة الدافع بالقصص، وقد أُعيدت كتابة الفصل الثامن بالجهاز العصبي والمخ في القرآن، وأدخلت فيه بيانات جديدة، وفي الفصل التاسع الخاص بالشخصية في القرآن، وأدخلت بعض الإضافات إلى الجزئين الخاصين بالشخصية السوية، والحيل العقلية في القرآن، وأُعيدت كتابة الجزء الخاص بنمو الإنسان في القرآن، وأدخلت بيانات جديدة، هذا بالإضافة إلى تنقيحات أخرى في معظم الكتاب^(٣).

وهذا الاستدراك يدل على الحرص الشديد من الدكتور نجاتي في إخراج الكتاب على الصورة العلمية المرضية، وكذلك تدل دلالة أكيدة على أن موضوع علم النفس يكرّ يحتاج إلى جهود كبيرة .

^١ القرآن وعلم النفس : محمد عثمان نجاتي : ص ٤٢ .

^٢ القرآن وعلم النفس : مقدمة الطبعة الأولى ، ص ٩ .

^٣ القرآن وعلم النفس : مقدمة الطبعة الخامسة ، ص ١١ .

المبحث الرابع

مآخذ على كتاب القرآن وعلم النفس

أولاً : صحة الاستدلال وقوة الاستشهاد :

دافع حب الذات :

يقول الدكتور نجاتي - رحمه الله - : "تعمل دوافع حب الذات في خدمة دافع حب البقاء، فهي بإشباعها حاجات البدن الفسيولوجية إنما تعمل على بقاء الفرد واستمرار حياته^(١).
واستشهد على حب الذات من قوله تعالى : [وَلَوْ كُنْتَ أَعْلَمُ الْغَيْبِ لَاسْتَكْتَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ]
(الأعراف: ١٨٨).

قال الرازي - رحمه الله - : " اخْتَلَفُوا فِي الْمُرَادِ مِنْ هَذَا الْخَيْرِ :

- فَقِيلَ الْمُرَادُ مِنْهُ: جَلْبُ مَنَافِعِ الدُّنْيَا وَخَيْرَاتِهَا، وَدَفْعُ آفَاتِهَا وَمَضَرَّاتِهَا، وَيَدْخُلُ فِيهِ مَا يَتَّصِلُ بِالْخِصْبِ وَالْجَذْبِ وَالْأَرْبَاحِ وَالْأَكْسَابِ.
- وَقِيلَ: الْمُرَادُ مِنْهُ مَا يَتَّصِلُ بِأَمْرِ الدِّينِ، يَعْنِي: لَوْ كُنْتَ أَعْلَمُ الْغَيْبِ كُنْتَ أَعْلَمُ أَنَّ الدَّعْوَى إِلَى الدِّينِ الْحَقُّ تُؤَثِّرُ فِي هَذَا وَلَا تُؤَثِّرُ فِي ذَلِكَ، فَكَيْفَ أَشْتَعِلُ بِدَعْوَةٍ هَذَا دُونَ ذَلِكَ"^(٢).
فليس في الآية ما يدل على حب الذات.

الصورة الثانية من الاستدلال : الاستدلال بالأراء الضعيفة في التفسير:

استدل نجاتي على دافع العدوان قائلاً : " وقد أشار القرآن إلى دافع العدوان أثناء ذكره لقصة آدم وحواء وإغواء الشيطان لهما؛ لإخراجهما من الجنة:
قال تعالى : { فَأَزْهَمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ } (البقرة: ٣٦)، وقوله تعالى : { قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعاً بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ } (طه: ١٣).

قال - رحمه الله - : " تشير هاتان الآيتان إلى ما سيحدث بين الناس من ظلم بعضهم لبعض، واعتداء بعضهم على بعض بسبب المنافسة، والانسحاق وراء شهواتهم، وإغواء الشيطان لهم"^(٣).
هذا الرأي أضعف الأقوال كما يقول ابن القيم - رحمه الله - رداً على اختيار الزمخشري - رحمه الله - لهذا الرأي.

قال ابن القيم - رحمه الله - : " قد ظن الزمخشري - رحمه الله - أن معنى قوله { بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ }، ما عليه الناس من التعادي والتباغي وتضليل بعضهم بعضاً"^(٤).

^١ القرآن وعلم النفس : محمد عثمان نجاتي : ص ٣٠.

^٢ تفسير الرازي : ٤٢٦ / ١٥ .

^٣ القرآن وعلم النفس: محمد عثمان نجاتي : ص ٤٥.

^٤ تفسير الزمخشري : ١ / ١٢٨.

وهذا الذي اختاره أضعف الأقوال في الآية؛ فإن العداوة التي ذكرها الله تعالى إنما هي بين آدم وإبليس وذريتهما، كما قال الله تعالى: {إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا} وهو سبحانه قد أكد أمر العداوة بين الشيطان والإنسان وأعاد وأبدى ذكرها في القرآن لشدة الحاجة إلى التحرز من هذا العدو^(١).

ثانياً : عدم الترجيح بين الآراء :

المثال الأول : التملك غريزة أم مكتسب ؟

قال - رحمه الله - : " وقد ذهب بعض علماء النفس مثل ماكدوجال إلى اعتبار التملك غريزة، غير أن الدراسات الأنثروبولوجية والسيكولوجية الحديثة لا تؤيد الرأي القائل بأن التملك غريزة، وهي تميل إلى اعتباره دافعاً نفسياً مكتسباً"^(٢).

لم يرجح بين الرأيين مع أن القرآن أشار إلى أن حب التملك غريزة، في قوله تعالى: [قُلْ لَوْ أَنْتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذًا لَأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الْإِنْفَاقِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ قَثُورًا] [الإسراء: ١٠٠]، "لكن الإنسان مطبوع على الشح والبخل"^(٣). وقال المراغي - رحمه الله: " أي وكان الإنسان بخيلاً منوعاً بطبعه، كما قال: [أَمْ هُمْ نَصِيبٌ مِّنَ الْمُلْكِ فَإِذَا لَا يُؤْتُونَ النَّاسَ نَقِيرًا] النساء: ٥٣ " أي لو أن لهم نصيباً في ملك الله لما أعطوا أحدا شيئاً ولا مقدار نقير"^(٤).

وقال ابن عطية - رحمه الله - : " أي ممسكاً، يريد أن في طبعه ومنتهى نظره أن الأشياء تنتهي وتنفى"^(٥). فأشارت الآيتان إلى أن التملك فطرة، كما قال المفسرون، فيرجح هذا الرأي .

المثال الثاني : دافع العدوان فطري أم مكتسب ؟

قال - رحمه الله - " وقد اختلف علماء النفس والحللون النفسيون في أمر العدوان هل هو دافع فطري أم مكتسب ؟ فذهب فرويد ولورنز إلى اعتباره دافعاً فطرياً، ولم يوافق كثير من علماء النفس الآخرين على اعتبار العدوان دافعاً فطرياً في الإنسان، إذ أن ذلك يعطي فكرة سلبية ومتشائمة عن الطبيعة الإنسانية، حيث يبدو الإنسان من وجهة النظر هذه ميالاً بفطرته إلى الشر والعدوان وإيذاء الآخرين ... ثم قال فإن كثيراً من علماء النفس المحدثين يميلون إلى اعتبار السلوك العدواني هو في جزء منه مكتسب وهذا الرأي الذي يقول به كثير من علماء النفس المحدثين يتفق مع ما جاء في القرآن من أن في طبيعة الإنسان استعداداً لكل من الخير والشر"^(٦).

واستشهد رحمه الله بقوله تعالى: [وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ] (البلد: ١٠).

و لو استقرنا آيات العدوان في القرآن نجد أن :

^١ حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح : ٣٠ / ١ .

^٢ القرآن وعلم النفس: محمد عثمان نجاتي : ص ٤٤ .

^٣ السعدي : ٤٦٧ .

^٤ تفسير المراغي : ١٥ / ١٠١ .

^٥ تفسير المحرر الوجيز لابن عطية : ٤٨٨ / ٢ .

^٦ القرآن وعلم النفس: محمد عثمان نجاتي : ص ٤٨ .

- ١- منها : ما ينهى عن الاعتداء: [وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ] (البقرة: ١٩٠).
- ٢- ومنها ما ينهى على التعاون على العدوان : [وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ] (المائدة: ٢).
- ٣- ومنها ما يخبر بأن الله لا يحب المعتدين، بل يبغضهم، [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحْرَمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ] (المائدة: ٨٧).
- ٤- ومنها ما يبيح العدوان على الظالم بقدر ظلمه : [وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةً وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنِ انْتَهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ] (البقرة: ١٩٣). أي: فليس عليهم منكم اعتداء، إلا من ظلم منهم، فإنه يستحق المعاقبة، بقدر ظلمه.
- ٥- وحدد العدوان بالمثل دون زيادة في آية أخرى : [فَمَنْ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ] (البقرة: ١٩٤). أي : قابلوه بحسب اعتدائه وتجاوزوا إليه بحسب تجاوزه.

فذكر القرآن نوعين من العدوان: نوع (محظور) وهو ابتداء العدوان، ونوع (مشروع) وهو العُدْوَانِ الذي يكون على سبيل المجازاة بالمثل، فالعدوان ليس غريزة في النفس ، ولكنه ينبع من نفس ظالمة، ويقابلها نفس أبية لا تقبل الضيم فتجازي المعتدي عليها بمثل الاعتداء دون زيادة.

ثالثاً : مساواة الأنبياء والكُمَّل من المؤمنين في الدوافع مع سائر البشر :

الخوف في حق الأنبياء :

نفى الخوف عن المرسلين في مقام تبليغ الرسالة، و إثباته فطرياً :

موسى U :

قال تعالى : [وَأَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَمَ يُعْجَبُ يَا مُوسَى لَا تَخَفْ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيْ الْمُرْسَلُونَ] (النمل: ١٠). كان ذلك التولي منه لتغلب القوة الواهمة التي في جبلة الإنسان على قوة العقل الباعثة على التأمل فيما دل عليه قوله (أَنَا اللَّهُ الْعَزِيزُ) من الكناية عن إعطائه النبوة والتأييد، إذ كانت القوة الواهمة متأصلة في الجبلة سابقة على ما تلقاه من التعريض بالرسالة، وتأصل القوة الواهمة يزول بالتخلق وبمحرارة العقل للوهم فلا يزالان يتدافعان ويضعف سلطان الوهم بتعاقب الأيام.

وقوله (يَا مُوسَى لَا تَخَفْ) أي: قلنا له، والنهي عن الخوف مستعمل في النهي عن استمرار الخوف؛ لأن خوفه قد حصل، والخوف الحاصل لموسى U خوف رعب من انقلاب العصا حية وليس خوف ذنب، فالمعنى: لا يجب لدي المرسلون؛ لأني أحفظهم. وقوله تعالى: (لَا تَخَفْ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيْ الْمُرْسَلُونَ) [النمل: ١٠].

تعليل للنهي عن الخوف وتحقيق لما يتضمنه نهي عن الخوف من انتفاء موجهه. وهذا كناية عن تشريفه بمرتبة الرسالة إذ علل بأن المرسلين لا يخافون لدى الله تعالى. ومعنى (لَدَيْ) في حضرتي، أي حين تلقي رسالتي، وهذا تعليم لموسى U التخلق بخلق المرسلين من رباطة الجأش K وليس في النهي حط لمرتبة موسى U ن مراتب غيره من المرسلين، وإنما هو جار على طريقة: مثلك لا يخل. والمراد النهي عن الخوف الذي حصل له من انقلاب

العصا حية وعن كل خوف يخافه كما في قوله { فَاصْرَبْ لَهُمْ طَرِيقاً فِي الْبَحْرِ يَبَساً لَا تَخَافُ دَرْكاً وَلَا تَخْشَى } (طه: ٧٧) ^(١).

وقال السعدي -رحمه الله - : " لأن جميع المخاوف مندرجة في قضائه وقدره وتصريفه وأمره، فالذين اختصهم الله برسالته واصطفاهم لوجيه لا ينبغي لهم أن يخافوا غير الله خصوصاً عند زيادة القرب منه والحظوة بتكليمه" ^(٢).

وقال ابن عاشور -رحمه الله - : في تفسير قوله تعالى (فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ) ليس هلعاً وفرقاً من الموت؛ فإنه لما أصبح في مقام الرسالة ما كان بالذي يبالي أن يموت في سبيل الله؛ ولكنه خشي العائق من إتمام ما عُهد إليه مما فيه له ثواب جزيل ودرجة عليا ^(٣).

رابعاً: الحكم المسبق قبل استقراء الآيات في الموضوع :

أولاً : الخوف :

قال -رحمه الله - : "... وقد ذكر القرآن بعض مخاوف الإنسان الهامة مثل : الخوف من الله ، والخوف من الموت ، والخوف من الفقر" ^(٤).

وعند الاستقراء للفظ الخوف نجد أنه ذكر في القرآن في مائة وأربع وعشرين آية ^(٥).

وقد دُكر في الآيات أنواع الخوف كالتالي :

- ١ - تنزيه الله عن الخوف.
- ٢ - الخوف من الله.
- ٣ - الخوف من عذاب الآخرة.
- ٤ - الخوف من ميل الموصي عن الحق.
- ٥ - الخوف من عدم القيام بمتطلبات الحياة الزوجية.
- ٦ - الخوف على القرابة (الوالدين - الذرية) .
- ٧ - الخوف من النشوز (الزوج والزوجة).
- ٨ - الخوف من حلول العذاب على من أعرض عن دعوة الرسل.
- ٩ - الخوف من العدو.
- ١٠ - الخوف على الوالدين من عذاب الله عند الإعراض عن الحق.
- ١١ - الخوف من التمرد على الحق.

^١ تفسير التحرير والتنوير : ٢٢٧/١٩ - ٢٢٨ .

^٢ تفسير السعدي : ٦٠٠ .

^٣ تفسير التحرير والتنوير : ١٩ / ١٢٢ .

^٤ القرآن وعلم النفس : ص ٧٤ .

^٥ المعجم المفهرس لألفاظ القرآن : محمد فؤاد عبد الباقي ، المكتبة الإسلامية - استنبول - تركيا ، ١٩٨٢ ، ص :

- ١٢ - الخوف من تكذيب الرسل.
- ١٣ - الخوف على ذهاب الملك .
- ١٤ - الخوف من عدم إقامة العدل.
- ١٥ - الخوف من وقوع الشقاق بين الزوجين.
- ١٦ - الخوف من الفقر.
- ١٧ - الخوف من الحيوانات المؤذية(الحية).
- ١٨ - الخوف من الأمور غير المعتادة (المفاجآت).

ثانياً : انفعال الغضب :

لم يذكر من صفات المؤمنين أنهم إذا ما غضبوا على مَنْ أساء إليهم هم يغفرون الإساءة، ويصفحون عن عقوبة المسيء؛ طلباً لثواب الله تعالى وعفوه قال تعالى : { وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ } (الشورى:٣٧).

والفرق بين غضب موسى U وغضب المؤمنين الذي يغفرونه، أن غضب موسى لانتهاك حرمة الله ؛ لأن قومه تركوا عبادة الله وعبدوا العجل ، تركوا الإيمان وانتقلوا إلى الكفر ، فكان حقيق عليه أن يغضب الله، فالغضب لله ولدينه وللحق والعدل غضب مطلوب وفيه الخير؛ والرسل حماة لمحارم الله إذا انتهكت، ولذلك لم يغضب رسول الله ﷺ لنفسه قط، ولكن كان يغضب أشد الغضب إذا انتهكت محارم الله، وَقَدْ ثَبَتَ فِي الصَّحِيحِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا انْتَقَمَ لِنَفْسِهِ قَطُّ إِلَّا أَنْ تُنْتَهَكَ حُرْمَاتُ اللَّهِ فَيَنْتَقِمُ لِلَّهِ (١)، أما غضب المؤمنين فهو غضب من إساءة شخصية في حقهم، فغفرانه من محاسن الأخلاق.

ثالثاً : انفعال الفرح :

لم يذكر الفرح بالأعمال القبيحة، قال تعالى : (لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا وَيُجِبُونَ أَنَّ يُجْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ مِنَ الْعَذَابِ وَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) آل عمران ١٨٨، أي : ولا تظن الذين يفرحون بما أتوا من أفعال قبيحة كاليهود والمنافقين وغيرهم، ويجنون أن يثني عليهم الناس بما لم يفعلوا، فلا تظنهم ناجين من عذاب الله في الدنيا، ولهم في الآخرة عذاب موعج. وفي الآية وعيد شديد لكل آت لفعل السوء معجب به، ولكل مفتخر بما لم يعمل، ليثني عليه الناس ويحمده.

ولم يذكر فرح المنافقين عند وقوع المكروه بالمسلمين من هزيمة أو نقص في الأموال والأنفس والثمرات، قال تعالى : (إِنْ تَسَسَّكُمُ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِنْ تُصِيبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا وَإِنْ تَصِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَصْرُخْكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئاً إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ خَبِيرٌ) (آل عمران ١٢٠).

ولم يذكر فرح الشهداء بإخوانهم المجاهدين، قال تعالى: (فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ) (آل عمران: ١٧٠).

يفرحون بإخوانهم المجاهدين الذين فارقوهم وهم أحياء؛ ليفوزوا كما فازوا، لِعَلِمِهِمْ أَنَّهُمْ سَيَنَالُونَ مِنَ الْخَيْرِ الَّذِي نَالُوهُ، إِذَا اسْتَشْهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ مُخْلِصِينَ لَهُ .

^١ صحيح البخاري : كِتَابِ الْحُدُودِ : بَابِ إِقَامَةِ الْحُدُودِ وَالْإِثْتِمَامِ لِلْحُرْمَاتِ لِلَّهِ، برقم (٦٤٠٤).

ولم يذكر فرح الأحزاب بما عندهم : كل حزب معجب برأيه زاعم أنه على الحق وغيره على الباطل. قال تعالى : (فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبُرًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ) (المؤمنون: ٥٣).

ولم يذكر فرح المؤمنين بالنصر وهي جيلة في الإنسان، (وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ) (الروم: ٤). ولم يذكر فرح البطر والإشر لا فرح الشكر، (وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُوا بِهَا وَإِن تُصِيبَهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيَهُمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ) (الروم: ٣٦). أي : وإذا أذقنا الناس منا نعمة من صحة وعافية ورخاء، فرحوا بذلك فرح بطرٍ وأشرٍ، لا فرح شكر، وإن يصبهم مرض وفقر وخوف وضيق بسبب ذنوبهم ومعاصيهم، إذا هم ييأسون من زوال ذلك، وهذا طبيعة أكثر الناس في الرخاء والشدة.

رابعاً : انفعال الكره :

لم يذكر كره المشركين والمجرمين للحق، قال تعالى : (لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ) (الأنفال: ٨)، أي : ليعز الله الإسلام وأهله، ويذهب الشرك وأهله، ولو كره المشركون ذلك.

ولم يذكر كره المنافقين للإنفاق في سبيل الله، قال تعالى : (قُلْ أَنْفِقُوا طَوْعاً أَوْ كَرْهًا لَنْ يُتَقَبَلَ مِنْكُمْ إِنْتُمْ كُنْتُمْ قَوْمًا فَاسِقِينَ) (التوبة: ٥٣)، قل -أيها النبي- للمنافقين: أنفقوا أموالكم كيف شئتم، وعلى أي حال شئتم طائعين أو كارهين، لن يقبل الله منكم نفقاتكم؛ لأنكم قوم خارجون عن دين الله وطاعته.

ولم يذكر كره المنافقين للجهاد في سبيل الله، قال تعالى : (فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَافَ رَسُولِ اللَّهِ وَكَرِهُوا أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ) (التوبة: ٨١)، فرح المخلفون الذين تخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بقعودهم في (المدينة) مخالفين لرسول الله ﷺ، وكرهوا أن يجاهدوا معه بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله، وقال بعضهم لبعض: لا تنفروا في الحرِّ، وكانت غزوة (تبوك) في وقت شديد الحرِّ. قل لهم -أيها الرسول-: نار جهنم أشد حرًّا، لو كانوا يعلمون ذلك.

ولم يذكر كره الكافرين للقرآن الكريم، (ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ) (محمد: ٩)، ذلك بسبب أنهم كرهوا كتاب الله المنزل على نبيه محمد ﷺ، فكذبوا به، فأبطل أعمالهم؛ لأنها كانت في طاعة الشيطان.

المبحث الخامس

ضوابط مقترحة للمبحث القرآني في علم النفس

أولاً : اتباع منهج التفسير الموضوعي في الموضوع القرآني من خلال الخطوات التالية :

- ١- جمع الآيات القرآنية التي تبحث موضوع علم النفس، أو تشير إلى جانب من جوانبه.
- ٢- ترتيب هذه الآيات حسب زمن النزول.
- ٣- دراسة تفسير هذه الآيات دراسة وافية بالرجوع إلى كتب التفسير التحليلي والتعرف على أسباب نزولها إن وجدت، وإلى دلالات الألفاظ واستعمالاتها، والروابط بين الألفاظ في الجملة وبين الجمل في الآية وبين الآيات في المجموعة التي تتحدث عن الموضوع النفسي.
- ٤- بعد الإحاطة بمعاني الآيات مجتمعة يحاول الباحث أن يستنبط العناصر الأساسية للموضوع النفسي من خلال التوجيهات القرآنية التي أحاط بها أو استنبطها من الآيات المتعلقة بالموضوع، وللباحث أن يقدم بعض العناصر الرئيسية على غيرها، إن وجد أن طبيعة البحث تقتضي ذلك أو أن تسلسل الأفكار المنطقي يلزم هذا التقديم أو التأخير.
- ٥- ثم يلجأ الباحث إلى طريقة التفسير الإجمالي في عرض الأفكار في بحثه ويحاول ألا يقتصر على دلالة الألفاظ اللغوية وإنما يستشف الهدايات القرآنية من خلال النصوص، كما يستدل على ما أشارت إليه الآيات الكريمة بالأحاديث النبوية الشريفة ويدعم كل ذلك بفهم الصحابة رضوان الله عليهم لنصوص آي الذكر الحكيم، ويوجه ويعلل ويشرح ويناقش في ضوء التوجيهات القرآنية، وإن وجد ما يوهم التناقض بين بعض الآيات التي تناولت الموضوع فلا بد من إزالة هذا الوهم، وإبراز الحكمة الإلهية في وجود مثل هذه النصوص.
- ٦- لا بد للباحث من الالتزام بمنهج البحث العلمي عندما يضع مخطط البحث للموضوع النفسي، وليكن هدف الباحث:

- إبراز مفاهيم وحقائق القرآن الكريم في علم النفس ، وملائمتها للفطرة السليمة وإطلاقها للطاقت الإيجابية في الإنسان.
 - عرض تلك المفاهيم والحقائق بأسلوب مشرق عذب بذكر الأفكار متسلسلة آخذة برقاب بعضها ملبية لاستشراق نفس القارئ، مجيبة عن استفساراته المتوقعة.
- ثانياً : أن تكون الحقيقة النفسية التي تستنتج صحيحة من ناحية العلوم العربية وحقاً من جهة الأصول الدينية ومقبولاً من الناحية العلمية.
- ثالثاً : لا يستهدف البحث القرآني التطابق بين النظريات التي قال بها علماء علم النفس وما جاء في القرآن الكريم، وإنما المستهدف إخضاع البحث في علم النفس لما جاء في القرآن الكريم.
- رابعاً : سلوكيات الإنسان هي المجالات التي تعمل عليها العلوم النفسية وتسوغها في قوانين ونظريات، لذلك يكون ما جاء في القرآن الكريم عن هذه السلوكيات حقائق، وفي ضوء ذلك تُنظَر العلوم النفسية بقوانينها ونظرياتها.

خامساً : البحث القرآني في علم النفس ينطلق من المُسَلِّمة التالية: يؤسس القرآن الكريم النموذج الأمثل للحياة الإنسانية بكل عناصرها؛ ولذلك فإنه عندما تعمل الحياة الإنسانية وفق النموذج القرآني تتطابق القوانين والنظريات التي يقول بها علماء علم النفس مع ما جاء في القرآن الكريم.

سادساً : أن يسعى الباحثون في البحث القرآني في علم النفس إلى الارتقاء بهذا العلم بحيث تصبح فيه حقائق ثابتة.

سابعاً : تُرشد السنن الإلهية في الأنفس إلى وجود قوانين علمية في علم النفس يحسن الأخذ بها؛ للارتقاء بحياة الإنسان النفسية.

الخاتمة : أهم النتائج والتوصيات :

النتائج :

- ١- مفهوم البحث القرآني عند الدكتور نجاتي هو : جمع الحقائق والمفاهيم النفسية التي وردت في القرآن الكريم عن الإنسان والاسترشاد بها في إنشاء دراسات جديدة في علم النفس.
- ٢- البحث القرآني لا يلغي الانجازات الحديثة في علم النفس بل يُمَحِّصها ويزنّها بميزان القرآن؛ لئسهم في بناء منهجية علمية في علم النفس تتفق مع المفاهيم والحقائق القرآنية.
- ٣- تمثّلت دوافع نجاتي في البحث القرآني حيث أنه رأى من الضروري لفهم آراء ابن سينا في علم النفس الرجوع إلى جميع ما كان معروفاً قبل عصر ابن سينا من مفاهيم وآراء ودراسات نفسية مختلفة؛ ولذلك تعرض في مقدمة رسالته للماجستير إلى بعض المفاهيم النفسية التي وردت في القرآن الكريم والحديث الشريف كمصدرين من المصادر التي أثّرت في بعض آراء ابن سينا.
- ٤- تمثّل منهج نجاتي في البحث القرآني في :
 - الجمع والاستيعاب.
 - التصحيح والتصويب.
 - الجدة والإبداع.
 - الاستدراك.
- ٥- يرى الدكتور نجاتي ضرورة الاسترشاد بالسنة النبوية وما تركه لنا العلماء المسلمون من مفاهيم وحقائق في علم النفس في البحث القرآني.

التوصيات :

- ١- إجراء المزيد من الدراسات المتعلقة بعلم النفس عند الدكتور نجاتي .
- ٢- تكوين مجموعات بحثية من علماء علم النفس وعلماء الشريعة للقيام بمشروعات بحوث تسهم في إنشاء علم النفس يتفق مع المفاهيم والحقائق القرآنية.
- ٣- إقامة شراكة علمية بين الجمعيات العلمية في علم النفس والجمعيات العلمية في القرآن وعلومه للقيام بمشروعات بحثية في علم النفس.

٤- الاستفادة من المشروع الرائد الذي يقوم به مركز تفسير للدراسات القرآنية وهو " موسوعة التفسير الموضوعي للموضوع القرآني" من الموضوعات التي تتعلق بعلم النفس مثل : الغضب - الخوف - المحبة - الكره - الحسد - الجوع - النسيان - الحزن - الفرح - الرؤية - الرؤى؛ لتعديل مسار علم النفس الحديث، وبناء علم نفس يتفق مع المفاهيم والحقائق التي جاءت في القرآن الكريم.

المراجع والمصادر

أولاً : القرآن الكريم :

ثانياً : المراجع :

أنا والهو: سيجمند فرويد : ترجمة محمد عثمان نجاتي ، ط ٤، بيروت ، دار الشروق ، ١٩٨٢ م .
تفسير التحرير والتنوير "تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد"، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى : ١٣٩٣هـ)، الناشر : الدار التونسية للنشر - تونس، سنة النشر: ١٩٨٤م.
التفسير الكبير : أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري ، دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة: الثالثة - ١٤٢٠ هـ.
تفسير الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل : أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: ٥٣٨هـ)، الناشر: دار الكتاب العربي - بيروت، الطبعة: الثالثة - ١٤٠٧ هـ
تفسير المحرر الوجيز : أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي المحقق: عبد السلام عبد الشافي محمد: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤٢٢ هـ.
تفسير المراغي : أحمد بن مصطفى المراغي (المتوفى: ١٣٧١هـ)، الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة: الأولى، ١٣٦٥ هـ - ١٩٤٦ م.
تفسير المنار : محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن منلا علي خليفة القلموني الحسيني ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٠ م.
تفسير تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان :عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (المتوفى: ١٣٧٦هـ)، المحقق: عبد الرحمن بن معلا اللويح، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م.
حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح : محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، الناشر: مطبعة المدني، القاهرة.
خصائص التصور القرآني: سيد قطب : دار الشروق ، ١٩٩٧م.
صحيح البخاري: محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ.
صحيح مسلم : مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري ، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي - بيروت.
القرآن وعلم النفس : محمد عثمان نجاتي ، دار الشروق - القاهرة ، ط٧، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م، ص ٢٣٤.
مجموع الفتاوى: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم بن تيمية الحراني، المحقق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، عام النشر: ١٤١٦هـ-١٩٩٥م.

معامل التحليل النفسي: سيجمند فرويد : ترجمة محمد عثمان نجاتي ، ط٥، بيروت ، دار الشروق ، ١٩٨٣م.

المعجم المفهرس لألفاظ القرآن : محمد فؤاد عبد الباقي ، المكتبة الإسلامية - استنبول - تركيا ، ١٩٨٢م .